

بسم الله الرحمن الرحيم

تدور مجالات البحث في علم الجينات¹ -بشكل عام- على قسمين اثنين:

الأول: النظر في مواقع التحورات، وكيفية ارتباط العينات والتقاء بعضها داخل المشجرة الجينية.

ويمكننا التمثيل لهذا الأمر؛ بتفرع السلالة (J) من السلالة (F)، والتقاء السلالة (J1) بالسلالة (J2) قبل السلالة (I).

وهذا الأمر -في تصوري- ليس محلًا للنقاش -على أقل تقدير من قبل الباحثين في الحمض-²؛ وذلك لكون فحص الـ(DNA) ينطلق -أساسًا- من هذه الحيثية، ويرتكز عليها؛ ففهمة علم السلالات البشرية الأولى؛ هي الكشف عن العلاقات الجينية بين البشر، وتوضيح القرابات بينهم، وهذا طبعًا بالاعتماد على الحمض النووي لكل فاحص، مما يؤكد على أن نتيجة هذا الفحص، وموقعها الجيني غير قابلة للنقاش، وذلك -طبعًا- بعد اتخاذ كافة المعايير العلمية للفحص؛ من صحة الإجراءات العملية، في أخذ العينة، ومن ثم إدخالها في المختبرات... إلخ.

¹ أود في البداية؛ أن أتقدم بالشكر الجزيل للأستاذ الباحث عبد الله بن فهد ابن جبر الدوسري أحد مؤسسي مشروع قبيلة الدواسر الجيني؛ والذي تفضل مشكورًا بقراءة هذه الورقة قبل نشرها، وقد تكرم بإبداء بعض الملاحظات القيمة والتي استفدت منها، فله مني كل الشكر والتقدير.

² وقد يبدي البعض استغرابه من تقرير هذا الكلام، والحقيقة أنني رأيت من كان يشكك بدلالة القرب بين نتائج الفحص، فكان يزعم أن القبائل التي هي موجبة للتحور (FGC 7944) -والذي هو متفرع من التحور (FGC 1696)- هم أقرب لقبيلة معينة هي موجبة للتحور (FGC 7) -والذي هو -أيضًا- متفرع من التحور (FGC 1696)- من جميع القبائل الأخرى التي هي -أيضًا- موجبة لذات التحور (FGC 7) !!!

وكي نبسط الفكرة للقارئ الكريم: فهذا الزعم هو بمثابة لو قيل بأن قبيلة الأزدي القحطانية تلتقي بقبيلة قريش المضرية قبل أن تلتقي قبيلة قريش المضرية بقبيلة تميم المضرية!!!

الثاني: تحديد الأصول العرقية والنسبية للسلاسل البشرية وما يتفرع منها من التحورات.

وهذا الأمر -في تصوري- ينقسم -أيضاً- إلى قسمين اثنين:

١- تحديد الأعراق للسلاسل البشرية الكبرى، وهذه قد تولت شركات الـ(DNA) ومراكز البحث العلمية المتخصصة في أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية مهمة الكشف عنها، فبعد قيام الخبراء بفحص عشرات الآلاف من العينات حول العالم؛ استطاعوا الخروج برسم مشجري عام يكشف عن السلاسل العرقية لكافة البشر، وقد توصلوا أيضاً إلى أماكن نشأة هذه السلاسل، ومواقع تركزها حول العالم.

٢- تحديد الأنساب الجاهلية للتحورات الجينية، وبحكم أن الغرب -بسبب تركيبته الاجتماعية- يفتقدون إلى مفهوم علم النسب الدقيق كما هو عند العرب؛ فقد تولى الباحثون من العرب^٣ مهمة الكشف عن هذا الأمر، فبعد عشر سنوات من خوض الباحثين العرب في هذا المجال؛ ظهرت نظريات عدة في تحديد الأنساب الجاهلية للتحورات الجينية، والسبب في ذلك يعود بالدرجة الأولى إلى أن كثيراً من هذه التحورات، والتي تكتل تحتها أغلب هذه القبائل في العالم العربي، سيما من أبناء السلالة (J1C3D)؛ هي خاصة بالقبائل العربية في العالم العربي في الأعم الأغلب، كما أن العمر الزمني لهذه التحورات -غالباً- قريب جداً، فسقف أعلاها لا يتجاوز (٥٠٠٠) سنة، وهذا عمر صغير مقارنة بتاريخ نشأة السلاسل

^٣ وأود أن أشير إلى أن هناك اتجاهات ومذاهب مختلفة بين الباحثين العرب في تحديد الأنساب الجاهلية للتحورات الجينية، وأنا فيما أطرحه في هذه الورقة، تحديداً، موافق للرؤية التي يراها الباحثون في (متدى السلاسل العربية <http://arabiandna.com/vb>) عن التحور (FGC 1696).

وأحب بأن ألفت نظر القارئ الكريم؛ -وهذا بحسب اطلاعي ومتابعتي لهذا الموضوع- إلى أنه لا يوجد من يسير وفق منهجية علمية منضبطة من الباحثين العرب غير باحثي متدى السلاسل العربية، طبعاً مع عدم قناعتي ببعض الاطروحات التي يتبناها عدد من باحثي المتدى، لكنني أرى أنهم -في تقديري- أقرب باحثي الجينات إلى الموضوعية والمنهجية العلمية من غيرهم، مع احترامي وتقديري لكافة العاملين في الساحة الجينية من مختلف المشارب والاتجاهات.

الكبرى^٤، كما أن هذا -أعني عمر هذه التحورات- فيه مطابقة -لحد ما- للموروث الديني والتاريخي لدى المسلمين من تاريخ نشأة القبائل العربية، والتي حدثت بعد ظهور النبي إبراهيم -عليه السلام- في الألفية الثانية قبل الميلاد^٥.

لذا ظهرت أطروحات متعددة من قبل الباحثين العرب في تحديد الانتماء القبلي لكثير من التحورات، وتحديدًا؛ تلك التحورات المتفرعة من السلالة (J1C3D)، ولا شك أن كثيرًا منها محل اعتبار وتقدير؛ وذلك للأرضية العلمية الصلبة التي تستند عليها، وفي المقابل؛ فهناك نظريات هي محل نظر وتأمل، كما يوجد أيضًا -بطبيعة الحال- نظريات هي أقرب للترهات والسخافات، وليس لها أي قيمة علمية في علم الجينات؛ وذلك لافتقارها لأدنى مقومات النظرية المقبولة علميًا، كما أنها في المقابل؛ لا تسير وفق منهج علمي محدد ومنضبط؛ مما يجعل من رفضها وعدم اعتبارها؛ السبيل الوحيد في التعاطي معها.

وإن من أبرز النظريات المطروحة في الساحة الجينية، والتي لها ثقلها بين الباحثين؛ النظرية التي ترى بأن التحور (FGC 1696)^٦ هو التحور الجامع للقبائل المضرية^٧، وتمتلك هذه النظرية عدة شواهد تدل على قوتها، وأرى أن أهم هذه الشواهد هي:

^٤ ولا بد من الإشارة إلى أنه توجد اجتهادات من الباحثين الغربيين في تحديد انتماء بعض هذه التحورات مما يقدر عمرها بأكثر من ٤٠٠٠ سنة؛ كالتحور: (YSC0000076)، الذي يرى بعض الباحثين الغربيين أنه خاص بالعرقية الآرامية. ^٥ طبعًا هذا التقرير مبني على اعتبار تحدر جميع القبائل العربية بما فيها القحطانية من إسماعيل بن إبراهيم -عليها السلام- كما هو رأي بعض النسابين العرب.

^٦ ومن أجل توضيح المعلومة بشكل مبسط؛ فسلسلة نسب التحور (FGC 1696)، إلى السلالة الأم (J1C3D) هي: (FGC 1696) بن (FGC 1721) بن (L 222.2) بن (FGC 1695) بن (FGC 1723) بن (FGC 1720) بن (FGC 1701) بن (FGC 11) بن (L 858) بن (YSC 80) بن (YSC 234) بن (CTS 11741) بن (YSC 235) بن (Z 2324) بن (L 147 = J1C3D)، وتحديدًا؛ فمن التحور (FGC 1695) إلى أسفل ما انبثق منه من تحورات؛ فإنه لا يوجد ظهور لتكتلات غير عربية موجبة لهذا التحور، ويقدر مختصون غربيون عمر هذا التحور بحدود (٣٥٠٠) سنة، ويرجح بعض الباحثين العرب، كون هذا التحور هو إسماعيل -عليه السلام-، أو أحد أبنائه أو أحد أحفاده؛ وذلك لتكتل جمهور القبائل العدنانية والقحطانية تحته، وعدم خروج تكتلات أعجمية أسفل هذا التحور، والأمر هذا -أعني تحديد التحور الإسماعيلي- لا يزال بحاجة لمزيد نظر وبحث.

^٧ مضر بن نزار بن معد بن عدنان، جد جاهلي، يتفرع منه عدد من القبائل، وعلى رأسها كنانة، ومنها قريش رهط رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذيل، وتميم، والرباب، والقبائل القيسية؛ كعامر بن صعصعة، وسليم، وهايلة، وغيرها كثير، للاستزادة، انظر: "معجم قبائل العرب القديمة والحديثة"، (١١٠٧/٣)، عمر رضا كحالة.

الشاهد الأول:

اجتماع نتائج مصرية صريحة تحت هذا التحور^٨، وسأقسم هذه القبائل إلى قسمين رئيسيين:

الأول: قبائل ذات نسب مصري قوي، وهذا القسم ينقسم إلى:

أ- قبائل لا تزال تحتفظ بمسماها الجاهلي، ومنها:

- كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر.
- عضل، وعضل من ذرية: الهون بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر.
- هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر.
- مزينة، وهم بنو عثمان وأوس ابني عمرو بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر.
- سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر.
- عدوان بن عمرو بن قيس عيلان بن مضر.
- فهم بن عمرو بن قيس عيلان بن مضر.

ب-قبائل ذات مسمى حديث، ومنها:

- الوهبة من بني تميم.
- العزاعيز من بني تميم.
- المناقير من بني تميم.
- العديان من بني تميم.
- العرينات من بني تميم.
- جزء من العناقر من بني تميم.

والجدير بالذكر؛ أن جميع هذه القبائل التميمية الصريحة تكتلت تحت تحور يرمز له بـ (FGC 6).

^٨ يمكن مراجعة نتائج هذه القبائل في مشروع: (قبائل العرب)، ومشروع: (L 222.2) على الرابطين التاليين:
(<https://www.familyreedna.com/public/Arab%20Tribes/default.aspx?section=yresults>)،
(https://www.familyreedna.com/public/J_L222.2/default.aspx?section=yresults).

الثاني: قبائل مشهورة بالانتساب إلى مضر، مع وجود خلاف شاذ أو ضعيف بنسبتها لغير مضر، ومن هذه القبائل:

أ- قبائل لا تزال تحتفظ بمسماها الجاهلي، ومنها:

- خزاعة.

ب-قبائل ذات مسمى حديث، ومنها:

- عتيبة.

- مطير.

- عائذ نجد.

الشاهد الثاني:

أن التحور (FGC 1696) يتمركز في منطقة الحجاز ومنطقة نجد، ومن أجديات التاريخ العربي؛ أن قبائل مضر -بل وقبائل معد بن عدنان بشكل عام- كانت تتمركز في هاتين المنطقتين منذ وقت مبكر من وجودها⁹.

فلدينا قبائل تميمية في نجد تحت التحور (FGC 6)، وتتمركز في منطقة الوشم وسدير، وهاتان المنطقتان من مناطق هذه القبيلة منذ الجاهلية، وفي الحجاز؛ يتمركز التحور (FGC 1713) في منازل قيسية جاهلية، كما يتمركز التحور (FGC 7944) في منطقة سدير، ومن يحمل هذا التحور؛ قبائل ذات موروث عمروي تميمي قوي.

⁹ وبهذا الخصوص؛ يمكن مراجعة المصادر التالية؛ لمعرفة أماكن انتشار القبائل العربية في زمن الجاهلية: "افتراق ولد معد"، هشام بن محمد الكلبي، "بلاد العرب"، الحسن بن عبد الله الأصفهاني، "صفة جزيرة العرب"، الحسن بن أحمد الهمداني.

الشاهد الثالث:

أن القبائل المضرية الموجبة للتحوور (FGC 1696) يتفق التقاؤها - في الجملة^{١٠} - فيما بينها مع المشجرة النسبية التاريخية التقليدية. وما من شك؛ أن مثل هذا الأمر يعد قرينة قوية تدعم من نظرية مضرية هذا التحوور.

الشاهد الرابع:

عدم وجود مواريث صريحة - لا خلاف عليها - من ربيعة وقضاعة وقحطان، ومتكتلة بشكل قريب من المشجرة التاريخية التقليدية أسفل هذا التحوور (FGC 1696).

الشاهد الخامس:

أنه لا يوجد تحور منافس لهذا التحوور (FGC 1696) في كونه الممثل لقبائل مضر؛ سواء في داخل السلالة (J1C3D)، أم في خارجها، حيث لم يجتمع عدد من القبائل المضرية ذات الانتماءات المضرية المتنوعة من الفرعين المضريين؛ (خندف)، و(قيس)، تحت تحور معين بتاريخ مقارب لعمر مضر الجاهلي؛ سوى في هذا التحوور، وهذا مما يقوي من نظرية كونه الممثل لقبائل المضرية، إلا أنه في حال ظهور تحور آخر يمتلك أدلة أقوى على المضرية من هذا التحوور (FGC 1696)؛ فإنه يجب - حينها - على طلاب الحقيقة: [التسليم للحقائق العلمية]، ولو كان وقعها شديداً على النفس....

عبد الله بن عبد العزيز بن عبد الله الغزوي.

الرياض - (١٤٣٦/٩/٥هـ).

^{١٠} هناك نظريتان سائدتان حول صحة الجداول النسبية لقبائل الجاهلية من عدما؛ الأولى: التي تسلم بصحة هذه الجداول كما هي، وهذه النظرة التقليدية التي يتبناها بعض باحثي العرب القدماء والمحدثين، والثانية: التي ترفض هذه الجداول، وترى أنها من وضع النسابين العرب، وهذا رأي أغلب الباحثين المستشرقين الغربيين، وللمزيد حول هذه القضية؛ ينظر: "كتاب القبائل العربية"، (٢٣/١ وما بعدها)، د. إحسان النص.